معتقدات الإمام الخميني.. الاعتقاد بالله، الاعتقاد بالشعب، والاعتقاد بالذات

المكان: طهران ــ مرقد الإمام الخميني(قدس سره)

الزمان: 1392/3/14ش. 1434/7/25هـ. 2013/6/4م.

الحضور: جموع غفيرة من أبناء الشعب الإيراني

المناسبة: الذكرى السنوية (24) لرحيل الإمام الخميني(قدس سره)

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم المصطفى محمّد وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين الهداة المهديين المعصومين، سيما بقية الله في الأرضين.

نحمد الله تعالى على أن منحنا الفرصة والمجال والعمر لنستطيع تكريم إمامنا الخميني العزيز مرة أخرى في مثل هذا اليوم، ونعلن عن حبّنا وإخلاصنا له رضوان الله عليه. مع أن ذكرى الإمام الخميني حيّة بين أبناء شعبنا دائماً، إلّا أن يوم الرابع عشر من خرداد مظهر لانشداد الشعب الإيراني إلى الإمام الخميني الجليل. وتصادف هذه الأيام في هذا العام ذكرى استشهاد جدّ إمامنا الخميني، أي سيدنا الإمام موسى بن جعفر (عليه الصلاة والسلام). كما تصادف هذه الأيام الذكرى الخمسين لحادثة مصيرية مهمة هي انتفاضة الخامس عشر من خرداد سنة 1342هـ ش [الخامس من حزيران 1963م]. وحادثة الخامس عشر من خرداد قضية مهمة ومرحلة حاسمة. أذكر بعض النقاط حول هذا الموضوع باختصار لنصل إلى النقاط الرئيسية واللازمة.

ليست انتفاضة الخامس عشر من خرداد بداية النهضة الكبرى لرجال الدين والشعب. فقبل الخامس عشر من خرداد، أي في سنة 1341 وبداية سنة 1342 وقعت أحداث مهمة. ففي الثاني من فروردين سنة 1342 وقعت حادثة المدرسة الفيضية، والاعتداء بالضرب والشتم على طلبة العلوم الدينية وإهانة المرجع الكبير المرحوم آية الله الگلپايگاني. وقبل ذلك، أي في أواخر سنة 1341 وقعت أحداث مظاهرات الجماهير في سوق طهران، وتوجيه الإهانة هناك للمرجع الكبير المرحوم آية الله الحاج السيد أحمد الخوانساري. هذه دلائل على أن نهضة علماء الدين وصلت في سنة 1341 وبداية سنة 1342 إلى ذروة وفاعلية جعلت بوليس الجهاز المتجبّر والأجهزة الأمنية تتعامل بعنف مع علماء الدين وطلبة العلوم الدينية وحتى مع مراجع التقليد. ولكن مع كل هذا كانت انتفاضة الخامس عشر من خرداد سنة 1342 محطة على جانب كبير من الأهمية. والسبب هو أن الحدث الذي وقع في يوم الخامس عشر من خرداد سنة 1342 دلّ على ترابط الشعب مع علماء الدين على مستوى حساس وخطير. في يوم عاشوراء من تلك

السنة – والذي صادف يوم الثالث عشر من خرداد – ألقى الإمام الخميني الجليل خطبة تاريخية حاسمة في المدرسة الفيضية. وبعد ذلك حينما اعتقلوا الإمام الخميني، انطلقت في يوم الخامس عشر من خرداد وفي طهران خصوصاً وكذلك في مدينة قم وبعض المدن الأخرى موجة وتحركات شعبية هائلة، فاندفع النظام الطاغوتي بكل وجوده وبكل جيشه وبكل قواته البوليسية وأجهزته الأمنية إلى قمع هذه الحركة الشعبية.

في الخامس عشر من خرداد انطلقت انتفاضة شعبية. وهذا دليل على أن كل واحد من أبناء الشعب له مثل هذه الآصرة المتينة مع علماء الدين والمرجعية المتمثلة بالإمام الخميني الجليل. والنقطة اللافتة هي أن هذه الآصرة هي التي تضمن تقدم النهضة وبلوغها أطوار الذروة والانتصار. أين ما كانت هناك حركة أو نهضة تعتمد على الشعب ويواكبها الناس فهي نهضة ممكنة المواصلة والاستمرار. وإذا لم يرتبط الناس بهذه الحركة الاعتراضية فسوف تخفق. وقد وقعت بعد حادثة المشروطة في إيران أحداث وانطلقت أعمال نضالية كفاحية، سواء من الجماعات اليسارية أو من الجماعات الوطنية، لكنها كان مصيرها جميعاً الانكسار والإخفاق على طول تاريخ النهضات الإيرانية. والسبب هو أن الجماهير لم تكن معهم. حين ينزل الناس إلى الساحة وتكون مشاعرهم وأفكارهم وتواجدهم رصيداً للنهضة، فسيمكن مواصلة هذه النهضة واستمرارها، وسيكتب لها النجاح والانتصار. حادثة الخامس عشر من خرداد دلّت على هذا المعنى وأثبتت أن الشعب سائر خلف رجال الدين. بعد اعتقال الإمام الخميني الجليل قامت في طهران وبعض المدن الأخرى قيامة دخلت معها الأجهزة الحكومية إلى الساحة وقمعت الناس بكل وحشية، وقتل عدد غير معلوم – لكنه كبير جداً – من الناس، واصطبغت شوارع طهران بدماء عباد الله والمؤمنين والشباب الأبطال من هذا الشعب. في الخامس عشر من خرداد انكشف الوجه القاسي للنظام الطاغوتي بشكل كامل.

أما النقطة الأخرى التي كانت في حادثة الخامس عشر من خرداد – وعلى شبابنا وأبناء شعبنا الأعزاء التنبّه إلى هذه النقاط، فهي مهمة – هي أن أيّاً من المؤسسات العالمية وهذه المنظمات التي تسمّى منظمات حقوق الإنسان لم تنبس ببنت شفة ولم تعترض ولم يعترض أحد مقابل تلك المذبحة القاسية التي وقعت في طهران وبعض المناطق الأخرى. بقي الناس ورجال الدين لوحدهم في الساحة. بل إن الماركسيين والحكومات اليسارية والجماعات اليسارية أدانت حركة الجماهير في الخامس عشر من خرداد، وقالت إنها حركة إقطاعية! والوطنيون الذين كانوا يتحدّثون عن الكفاح والنضال هم أيضاً أدانوا هذه الحركة وقالوا إنها حركة عمياء بلا هدف، وتصرّفات متطرفة! أين ما لا يفتح طلابُ العافية والسلامة ومؤثرو الراحة لأنفسهم مكاناً وسط ساحة

النضال ولا يتقبلون الأخطار، يتهمون المؤمنين المناضلين بالتطرّف والتشدّد. قالوا إن هؤلاء متطرّفون والحركة حركة متطرفة. وبقي الإمام الخميني لوحده في الساحة بدعم وإسناد من هذا الشعب، لكنه عرض عن نفسه لكل الناس والتاريخ وبالمعنى الحقيقي للكلمة صورة القائد السماوي والمعنوي القاطع المصمم.

كان إمامنا الخميني الجليل يحمل ثلاثة معتقدات هي التي منحته القاطعية والحسم والشجاعة والاستقامة: الإيمان بالله، والإيمان بالشعب، والثقة والإيمان بنفسه. هذه المعتقدات الثلاثة عبّرت عنه نفسها بالمعنى الحقيقي للكلمة في وجود الإمام الخميني وقراراته وكل تحركاته. تحدث الإمام الخميني مع الناس بقلبه، ولبّى الناس نداءه بأرواحهم، ونزلوا إلى الساحة ووقفوا وصبروا برجولة، وسارت الحركة التي لم يُنظر لها بحنوّ ولم تُمدّ لها يد العون من أيّ مكان من العالم، سارت نحو الانتصار تدريجياً إلى أن وصلت إلى النصر والظفر في نهاية المطاف.

وأريد أن أقف قليلاً عند هذه المعتقدات الثلاثة التي حملها الإمام الخميني. هذه أمور وأفكار مهمة، وإذا وجدت مكانها في قلوبنا فستنير طريق حركتنا.

كان الإمام الخميني في إيمانه بالله مصداقاً لهذه الآية الشريفة: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (1). كان الإمام الخميني يعمل بـــ «حسبنا الله ونعم الوكيل» من أعماق وجوده وكيانه، ويعتقد بها من صميم روحه. كان الإمام الخميني يثق بالله سبحانه وتعالى، وعلى يقين من الوعد الإلهي، وقد تحرّك وعمل وتكلم وبادر لله، وكان يعلم أنه ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ (2) وعد إلهي حتميّ لا يُخلف.

و في إطار إيمانه بالشعب، كان الإمام الخميني الجليل يعرف الشعب الإيراني بالمعنى الحقيقي للكلمة. كان الإمام الخميني يعتقد أن هذا الشعب شعب يتحلى بالإيمان العميق والذكاء والشجاعة، وإذا ظهر فيه قادة لائقون استطاع أن يتألق في الميادين المختلفة كالشمس. هذا شيء كان الإمام الخميني يثق ويعتقد به. إذا كان شخص غير لائق مثل الشاه سلطان حسين قد تسبّب ذات يوم في أن ينكفئ الشعب الإيراني على نفسه، فإنه في يوم آخر حينما ظهر بين الناس رجل شجاع مثل نادر قلي – من دون تلك الألقاب والعناوين – وتولى قيادة الجماهير بشجاعة، استطاع هذا الشعب أن يمدّ ساحة مفاخره من الهند إلى البحر الأسود. هذا ما شاهده الإمام الخميني في التاريخ، وشاهد نظائره وأمثاله، وكان يؤمن ويعتقد به. كان يعرف شعب إيران ويثق به. إيمان الشعب العميق الذي كان قد اختفى تحت ما كرّسه طلّاب الدنيا، أخرجه الإمام الخميني الجليل وأطلقه كإيمان عميق لا يتغيّر، وأثار الغيرة الدينية للشعب فصار شعب إيران نموذجاً للاستقامة والبصيرة. كان الشعب الإيراني أعزّ شيء في عين الإمام الخميني الجليل، وأعداء

الشعب الإيراني هم المبغوضين أكثر من أي شيء في نظره. حين تلاحظون أن الإمام الخميني لم يقعد حتى لحظة واحدة في مجابهته لقوى الهيمنة، فإن السبب في معظمه هو لأن قوى الهيمنة كانت عدوّ سعادة الشعب، والإمام الخميني يعادي عدوّ الشعب.

وفي نطاق الإيمان بالذات – الثقة بالنفس – علّم الإمام الخميني شعب إيران «نحن قادرون». قبل أن يلقّن الإمام الخميني فكرة «نحن قادرون» لشعب إيران ويعلمها إياه، أحيى «نحن قادرون» في وجوده هو، فقد أبدى اعتقاده بقدراته الشخصية بالمعنى الحقيقي للكلمة. في يوم عاشوراء من سنة 42 هدّد الإمام الخميني وهو غريب وحيد بين طلبة العلوم الدينية وأهالي قم في المدرسة الفيضية، هدّد محمد رضا شاه الذي كان يعتمد على أمريكا والقوى الأجنبية دون قيد أو شرط، ويحكم البلد بنحو منفلت، أنك إذا تحركت بهذه الطريقة وواصلت هذا الطريق فإني سأقول لشعب إيران يخرجوك من إيران! من الذي يقول هذا؟ رجل دين يسكن مدينة قم، ولا سلاح له، ولا تجهيزات ولا معدّات، ولا أموال، ولا دعامة دولية. ليس له إلا اعتماده على الإيمان بالله والثقة بالنفس جعله يقف في الساحة ويصمد. يوم عاد الإمام الخميني من منفاه، هدّد حكومة بختيار في «بهشت زهراء» هذه، وبصوت عال فقال: «إنني أصفع حكومة بختيار على فمها، وسوف أعيّن حكومة». هكذا كانت ثقته بنفسه. كان الإمام الخميني يؤمن بنفسه وبطاقاته وقدراته. وهذه الثقة بالذات انتقلت إلى أعمال الإمام الخميني وأقواله وإلى الشعب الإيراني. أعزائي.. لقد تمّ تلقيننا نحن الشعب الإيراني طوال مائة عام بأنكم غير قادرين، ولا تستطيعون إدارة بلدكم، ولا تستطيعون صيانة عزتكم، ولا تستطيعون البناء والعمران، ولا تقدرون على السير في درب العلم، ولا تقدرون ولا تقدرون، ونحن صدّقنا ذلك وآمنا به.

من الأدوات المؤثرة للأعداء في الهيمنة على الشعوب هذا الإيحاء والتلقين بأنكم «لا تستطيعون ولا تقدرون»، حتى تصاب الشعوب باليأس وتقول لنفسنا إننا غير قادرين على فعل شيء. بهذه الخدعة تأخّر الشعب الإيراني لمائة عام في ساحات السياسة والعلم والاقتصاد وكل ميادين الحياة. وقد عكس الإمام الخميني الفكرة، وسلب القوى العظمى هذه الأداة من أدوات هيمنتها، وقال لشعب إيران «إنك قادر وتستطيع». لقد أعاد لنا شجاعتنا، وردّ إلينا تصميمنا وقاطعيتنا، وأعاد لنا ثقتنا بأنفسنا، فشعرنا نحن الشعب الإيراني بأننا قادرون، فتحركنا وبادرنا، وبهذا انتصر شعب إيران في كل الساحات – التي سأشير لها – طوال هذه الأعوام التي تربو على الثلاثين.

هذه المعتقدات الثلاثة عند الإمام الخميني – أعني الاعتقاد بالله، والاعتقاد بالشعب، والاعتقاد بالذات – صارت محور كل قراراته وكل تصرفاته ومبادراته وكل سياساته. في بداية النهضة كانت هذه المعتقدات الثلاثة هي التي منحت الإمام الخميني القدرة. وكذا الحال خلال فترة

المنفى، وكذلك حينما انتقل إلى باريس، وعندما جاء إلى إيران، كانت هذه المعتقدات الثلاثة هي التي منحت الإمام الخميني المقدرة والقوة حين دخل طهران في مثل تلك الظروف. وفي أحداث بهمن 1357 ، وفي الفتن الداخلية، وفي إعلان نظام الجمهورية الإسلامية، وفي مقاومته الصريحة بوجه النظام العالمي الظالم، وفي إعلان «لا شرقية ولا غربية»، وفي الحرب المفروضة، وفي كل قضايا وأحداث تلك الأعوام العشرة الزاخرة بالأحداث من عمر الإمام الخميني، تجلّت هذه المعتقدات الثلاثة في الإمام الخميني. مصدر قراراته وخطواته ومبادراته وسياساته كان هذه المعتقدات الثلاثة.

إلى الأيام الأخيرة من حياته، لم يجد أحد في أقوال إمامنا الخميني الجليل وأعماله مؤشراً على كآبة أو تردد أو تعب أو انهزام أو استسلام. الكثير من الثورات في العالم حينما تخرج عن فترات شبابها وتصل أطوار شيخوختها تصاب بالتردد والشكوك والنزعة المحافظة، بل وتسحب أحياناً كلامها وشعاراتها الرئيسية. نداءات الإمام الخميني في السنوات الأخيرة من عمره، أكثر ثورية وشدة وقوة حتى من كلامه في سنة 42 . كان يشيخ لكن قلبه كان شاباً وروحه حيّة. وهذه هي الاستقامة التي قال عنها القرآن الكريم: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾(3). ويقول في آية كريمة أخرى: ﴿إِنّ الّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللّهُ ثُمّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ (4). هذه المعتقدات الثلاثة أبقت الإمام الخميني حيّاً وشاباً، واحتفظت وثبّتت أفكاره ودربه وطريقته لهذا الشعب. وشيئاً فشيئاً تعمّمت هذه المعتقدات الثلاثة بين شعبنا وشبابنا ومختلف الشرائح، وشاع الأمل وفشت الثقة بالذات والتوكّل على الله، وحلت هذه المعاني محل اليأس والنظرة السوداوية المظلمة المتشائمة، وغيّر أبناء الشعب الإيراني أفكارهم وروحهم ونزعاتهم، وغيّر الله سبحانه وتعالى وضعهم: ﴿إِنّ اللّهَ لا يُغَيّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (5). أصلح الشعب الإيراني طريقه وحركته ومحفزاته، وأعانه الله سبحانه وتعالى ونصره وأسنده. فما كانت النتيجة؟ كانت النتيجة أن تحولت إيران التابعة إلى إيران المستقلة.

ثمّة عن تبعية النظام الطاغوتي البهلوي – والذي كان أسوء من النظام القاجاري الرجعي الأسود – لبريطانيا ومن بعد ذلك لأمريكا، أشياء كثيرة يجب أن يعرفها شبابنا الأعزاء. كانت تبعيتهم قد وصلت مراحل وأحوالاً مُخجلة. قال هذا أحد الدبلوماسيين الأمريكان البارزين بعد الثورة وكتبه.. قال نحن الذين كنا نقول للشاه إنك بحاجة إلى هذا الشيء ولست بحاجة لذاك الشيء! هم الذين كانوا يقولون يجب أن تقيموا هذه العلاقة ويجب أن تقطعوا تلك العلاقة.. أنتجوا النفط بهذا المقدار وبيعوا بهذا المقدار.. ولمن تبيعون ولمن لا تبيعون! كان البلد يُدار بسياسات وخطط أمريكية ومن قبل ذلك بسياسات وخطط بريطانية. تحوّل هذا البلد التابع إلى إيران المستقلة

الشامخة. كان الرؤساء الفاسدون الخونة العابدون للمال والغارقون في الشهوات والملذات المادية الحيوانية يحكمون هذا البلد، فتحوّل ذلك إلى نواب الشعب، وترك أولئك أماكنهم لقادة هم نواب للشعب. طوال هذه الأعوام التي تزيد على الثلاثين حكم هذا البلد وتولى زمام السلطة والسياسة والاقتصاد فيه أشخاص هم نواب الشعب.. أشخاص لم تهمهم جيوبهم، وطبعاً كان بعضهم أقوى من بعض في هذا الجانب. هذه قضية على جانب كبير من الأهمية. أولئك الساسة الخبثاء التابعون الجشعون الحقراء أمام الأعداء والغاضبون أمام الناس تركوا مكانهم لنواب الشعب. تبدّل بلدنا المتأخّر من الناحية العلمية إلى بلد متقدّم علمياً. لم يكن لنا قبل الثورة أية مفخرة علمية. واليوم يقول الآخرون عنا، وتقول مراكز الرصد العالمية حول إيران بأن نموها وسرعة تقدمها العلمي أكثر من المتوسط العالمي بإحدى عشرة مرة. فهل هذا بالشيء القليل؟ تُخمّن مراكز الفحص والرصد العلمي أنه إلى سنوات أخرى – حتى سنة **2017** م – ستحتل إيران المرتبة العلمية الرابعة في العالم. هل هذا بالشيء الصغير؟ البلد الذي لم تكن له أية مفخرة علمية تحوّل إلى هذا الشيء.

كنا بلداً إذا أراد أن يمدّ شارعاً أو طريقاً سريعاً أو يبني سداً أو ينشئ معملاً كان يجب عليه أن يمدّ يده نحو الأجانب ليأتي المهندسون الخارجيون ويبنوا لنا سداً ويمدوا لنا طريقاً ويقيموا لنا معملاً. واليوم فإن شباب هذا الشعب ومن دون أدنى اكتراث للأجانب يوجدون آلاف المعامل ومئات السدود والجسور والطرق والطرق السريعة في البلاد. والتطور العلمي والتقني والقدرة على الإعمار والبناء وصلت اليوم في البلاد إلى هذه الذرى. فهل يجدر بنا أن لا نرى كل هذا؟

على صعيد الصحّة والعلاج، كان يجب على مريضنا أن يتوجّه لمستشفيات أوربا ويتيه فيها من أجل عملية جراحية فيها قليل من التعقيد، هذا إذا كان لديه المال، أما إن لم يكن لديه المال فكان يجب أن يموت. واليوم تُنجز في بلادنا أعقد العمليات الجراحية الكبرى، من قبيل زراعة الكبد وزراعة الرئة وأعمال مهمّة في مجال الجراحة والطب، وليس في طهران فقط بل في الكثير من المدن البعيدة. مثل هذه القدرات والإمكانيات موجودة في الداخل اليوم. الشعب الإيراني لا يحتاج للأجانب في هذه المجالات. لقد وصل في هذا الحيّز البالغ الأهمية والشديد الحيوية إلى الاستقلال والاكتفاء الذاتي.

الكثير من مناطق هذا البلد كانت منسيّة – كنت كثير السفر قبل الثورة للمدن والمناطق المختلفة – ولم تكن هناك أدنى نظرة للمناطق النائية في البلاد. أما اليوم فالخدمات على تنوّعها متوفرة ومنتشرة في كافة أرجاء البلد، وفي المدن البعيدة والقرى والأرياف. لا معنى اليوم لأن يقول قائل إن المكان الفلاني محروم من الطاقة الكهربائية أو البنى التحتية من قبيل الطرق. في ذلك الحين إذا

كانت المنطقة النائية تتمتع بشيء من هذا لكان ذلك مبعث غرابة، أما في الوقت الحاضر فالعكس هو الذي يبعث على الغرابة. في ذلك الحين كان هناك مائة وخمسون ألف طالب جامعي من بين سكان البلاد الذين يصل عددهم إلى خمس وثلاثين نسمة. وقد تضاعف عدد السكان اليوم ضعفين، بينما ازداد عدد الطلبة الجامعيين عشرين ضعفاً بل ثلاثين ضعفاً. وهذا معناه الاهتمام بالعلم. كثرة الطلبة الجامعيين وكثرة الأساتذة وكثرة الجامعات ملحوظة. ثمة في كل مدينة بعيدة جامعة أو جامعتين أو خمس جامعات أو أحياناً عشر جامعات. وفي ذلك الحين كانت هناك محافظات لا يصل عدد مدارسها الثانوية إلى عدد أصابع اليدين. وحالياً توجد في كل مدينة من هذه المحافظات عدة جامعات. هذه هي مسيرة الشعب الإيراني العظيمة بفضل الثورة وبهمم الشباب والمسؤولين طوال هذه الأعوام التي تربو على الثلاثين. هذه أحداث مهمة.. فلقد شُيّدت بفضل الثورة الكثير من البنى التحتية في هذا البلد، وأنشئت الآلاف من المعامل، وأقيمت معامل أمّ ضخمة.. المنتجات التي كان يجب أن نشتريها ذرة ذرة من الأجانب وبمنّة منهم، تنتج اليوم في البلاد بوفرة.. هذه أمور يجب رؤيتها، وكلها تحققت بفضل هذه المعتقدات الثلاثة التي بثها الإمام الخميني في هذا الشعب، وأثارها وأحياها فيه: الإيمان بالله، والإيمان بالشعب، والثقة بالذات.

لا نقول هذا الكلام من أجل أن نخلق غروراً كاذباً، ونفرح لأننا انتصرنا والحمد لله وانتهى الأمر، لا، إنما لا تزال أمامنا مسافات طويلة من الدرب. أقولها لكم هنا: لو قارنّا أنفسنا بإيران خلال فترة حكم الطاغوت لكانت هذه الإنجازات كبيرة. ولكن إذا قارنّا أنفسنا بإيران الإسلامية المنشودة – البلد الذي أراده لنا الإسلام، والمجتمع الذي أراده لنا الإسلام، المجتمع الذي تتوفر فيه العزة الدنيوية والرفاه الدنيوي وكذلك الإيمان والأخلاق والمعنوية بدرجات عالية – فسيكون أمامنا طريق طويل. إنني أقول هذا ليعلم شبابنا الأعزاء وشعبنا الشجاع بأن مواصلة هذا الدرب ممكنة بهذه المعتقدات الثلاثة. اعلموا أن الطريق طويل، لكنكم قادرون ولديكم القدرة والإمكانية. بوسعكم مواصلة هذا الطريق الطويل إلى حين الوصول للقمم وبقدرة تامة وبالسرعة اللازمة. هذا الكلام من أجل أن تعلموا أن الأعداء إذا أرادوا أن يزرعوا اليأس في قلوبنا فإنما يمارسون بذلك عداءهم، وكل شيء يشير لنا بالأمل.

وخارطة الطريق أمامنا. لدينا خارطة طريق. ما هي خارطة طريقنا؟ خارطة طريقنا هي نفسها أصول إمامنا الخميني الجليل.. تلك الأصول التي استطاع بالاعتماد عليها تبديل ذلك الشعب المتأخر الخانع إلى شعب متقدّم شامخ رائد. هذه أصول تنفعنا في مواصلة الطريق أيضاً وتمثل لنا خارطة طريقنا. أصول الإمام الخميني أصول واضحة. ولحسن الحظ فإن كلمات الإمام الخميني وخطاباته وكتاباته موجودة بين يدي الناس في أكثر من عشرين مجلداً، وقد جاءت خلاصتها في

وصيته الخالدة رضوان الله عليه، وبمستطاع الجميع أن يراجعوها. لا نرى من المفيد أن نتمسّك باسم الإمام الخميني وننسى أصوله.. هذا خطأ. اسم الإمام الخميني وذكراه لا تكفي. الإمام الخميني إنسان خالد للشعب الإيراني بأصوله وأسسه وخارطة طريقه. خارطة الطريق لدى الإمام الخميني، وقد عرضها علينا، وأصوله واضحة محدّدة.

أصول الإمام الخميني في السياسة الداخلية عبارة عن الاعتماد على أصوات الشعب، وتأمين اتحاد الشعب وتلاحمه، والنزعة الشعبية المتواضعة وعدم الميل للنزعة الارستقراطية لدى الحكام والمسؤولين، وانشداد المسؤولين والمدراء لمصالح الشعب، والعمل والسعي العام لتقدم البلاد. وأصوله في السياسة الخارجية هي الصمود مقابل سياسات الهيمنة والتدخّل، والأخوّة مع الشعوب المسلمة، والتواصل والعلاقات المتكافئة مع كل البلدان، باستثناء البلدان التي شهرت السيف أمام الشعب الإيراني وراحت تعاديه، ومكافحة الصهيونية، والنضال من أجل تحرير بلد فلسطين، ومساعدة المظلومين في العالم والمقاومة أمام الظالمين. وصية الإمام الخميني بين أيدينا وأمام أنظارنا. كتابات الإمام الخميني وكلماته وأقواله موجودة في الكتب التي تحتوي نصوص كلماته رضوان الله عليه.

وأصول الإمام الخميني على الصعيد الثقافي هي رفض ثقافة الإباحية الغربية، ورفض الجمود والتحجّر، ورفض الرياء في التمسك بالدين، والدفاع الحاسم عن الأخلاق والأحكام الإسلامية، ومكافحة إشاعة الفحشاء والفساد في المجتمع.

وأصوله رضوان الله تعالى عليه في مضمار الاقتصاد هي الاعتماد على الاقتصاد الوطني، والارتكاز على الاكتفاء الذاتي، والعدالة الاقتصادية في الإنتاج والتوزيع، والدفاع عن الطبقات المحرومة والفقيرة، ومواجهة ثقافة الرأسمالية واحترام الملكية – هذه الأمور إلى جانب بعضها – فالإمام الخميني يرفض الثقافة الرأسمالية الظالمة، لكنه يؤكد على احترام الملكية واحترام رأس المال، واحترام العمل. وكذلك عدم الذوبان في الاقتصاد العالمي، والاستقلال في الاقتصاد الوطني.. هذه هي أصول الإمام الخميني في المجال الاقتصادي، وهي أمور واضحة في أقواله وكلماته.

كان توقّع الإمام الخميني من مسؤولي البلاد دائماً هو أن يستطيعوا باقتدار وتدبير وإدارة عقلائية أن ينفذوا هذه الأصول ويتقدموا بها إلى الأمام. هذه هي خارطة طريق الإمام الخميني الجليل. بمقدور شعب إيران بهمّته وبشبابه وبخارطة طريقه هذه، وبإيمانه الراسخ في فؤاده، وبفضل ذكرى إمامه الخميني، أن يملأ المسافة الراهنة التي تفصله عن ذلك الوضع المنشود. بوسع الشعب الإيراني أن يتقدم إلى الأمام. الشعب الإيراني بما لديه من قدرات ومواهب، وبفضل وجود العناصر البارزة والحمد لله في هذا البلد، بوسعه مواصلة الطريق المقطوع خلال تجربة أكثر من ثلاثين عاماً من

عمر الثورة بمزيد من الاقتدار وبهمّة أصلب، ليكون إن شاء الله نموذجاً حقيقياً وواقعياً للشعوب المسلمة.

أما بخصوص الانتخابات وهي قضيتنا الحساسة والحيّة في هذه الأيام.. أيها الإخوة والأخوات الأعزاء.. أيها الشعب الإيراني العزيز.. الانتخابات مظهر وتجسيد لكل هذه المعتقدات الثلاثة التي كانت في الإمام الخميني، والتي يجب أن تكون فينا أيضاً: إنها تجسيد للإيمان بالله سبحانه وتعالى، لأنها تكليف.. إنه واجبنا وتكليفنا أن نتدخل في تقرير مصير البلاد. كل واحد من أبناء الشعب يتحمّل مثل هذا التكليف ويقع على عاتقه هذا الواجب. والانتخابات مظهر للإيمان بالشعب، لأنها مظهر لإرادة كل واحد من أبناء الشعب، فالناس هم الذين ينتخبون مسؤولي البلاد. والانتخابات مظهر الإيمان بالذات لأن كل فرد يُدلي بصوته في صندوق الاقتراع يشعر أنه ساهم بدوره في تقرير مصير بلده، وهذا شيء على جانب كبير من الأهمية. إذن الانتخابات تجسيد للإيمان بالله، ومظهر للإيمان بالشعب، ومؤشر للثقة بالذات.

القضية الرئيسة في الانتخابات هي خلق ملحمة سياسية، وتواجد الشعب عند صناديق الاقتراع. ما معنى الملحمة؟ الملحمة معناها ذلك الفعل المجيد الكبير الباعث على الفخر الذي يحصل بهياج وحماس. كل صوت تمنحونه لأحد هؤلاء المرشحين المحترمين – هؤلاء الأشخاص الثمانية المحترمين المشاركين في الساحة – هو صوت للجمهورية الإسلامية. أيّ صوت لأيّ مرشح هو صوت للجمهورية الإسلامية، وصوت ثقة بنظام الانتخابات وآلياتها. أن تخوضوا في ساحة الانتخابات، سواء الأشخاص الذين ترشحوا لرئاسة الجمهورية أو الأشخاص الذين ينتخبونهم – مثلنا أنا وأنتم – فإن مجرد الخوض في هذه الساحة يعني الثقة بالجمهورية الإسلامية والاعتماد على آليات الانتخابات. الدرجة الثانية من الأهمية تتعلق بالتصويت لهذا الشخص أو ذاك ممن تريدونه أنتم، أو آخر يريده أشخاص آخرون، أو أشخّص أنا أنه أنفع من سائر المرشحين لمستقبل البلاد.

أعداؤنا المساكين في الخارج يفكرون في أن يخلقوا من هذه الانتخابات تهديداً للجمهورية الإسلامية، والحال أن الانتخابات فرصة كبيرة للنظام الإسلامي. إنهم يأملون إما أن تكون الانتخابات باردة وباهتة ليستطيعوا أن يقولوا إن الناس غير منشدّين للنظام الإسلامي وغير راغبين فيه، أو أن يطلقوا من بعد الانتخابات فتنة كما صنعوا فتنة بعد تلك الانتخابات الملحمية في سنة **88** . أعداء الشعب الإيراني يسعون لمثل هذه الأمور، لكنهم على خطأ، ولم يعرفوا شعبنا. لقد نسي أعداء هذا الشعب يوم التاسع من دي. الذين يظنون أن في هذا البلد أكثرية صامتة ومعارضة لنظام الجمهورية الإسلامية نسوا أنه منذ أربعة وثلاثين عاماً والحشود الهائلة تخرج كل سنة في الثاني والعشرين من بهمن وفي كل مدن البلد دفاعاً عن نظام الجمهورية الإسلامية وترفع

شعارات «الموت لأمريكا». من أجل إحباط وتثبيط أجواء الانتخابات تجلس هيئاتهم الفكرية خلف وسائل إعلامهم وناطقيهم السياسيين ويصنطعون الكلام دوماً ويغذّون به وسائل الإعلام. يقولون يوماً إن الانتخابات تخضع لهندسة معينة وأن هناك هندسة للانتخابات، ويقولون يوماً إن الانتخابات ليست حرة، ويقولون يوماً إن الانتخابات غير مشروعة من وجهة نظر الشعب. لا يعرفون شعبنا ولا يعرفون انتخاباتنا، ولا يعرفون نظام الجمهورية الإسلامية. وحينما يعرفون شيئاً لا يراعون الإنصاف، ولا يتحرّجون من عدم الإنصاف هذا.

في أي مكان من العالم – إذا كان أحد يعرف مثل هذا المكان فليذكره – يُسمح للمرشحين على اختلافهم، من الشخصيات المعروفة إلى الأشخاص المغمورين، أن يستفيدوا بشكل متساوٍ من وسائل الإعلام الوطنية والحكومية؟ أين يوجد مثل هذا الشيء في العالم؟ هل يوجد في أمريكا؟ هل يوجد في البلدان الرأسمالية؟ في البلدان الرأسمالية إذا كان المرشح عضواً من هذين الحزبين أو الثلاثة ويحظى بدعم الرأسماليين والمعامل والأثرياء ومافيات الثروة والسلطة فسيكون بإمكانه الإعلام والدعاية لنفسه، إما إذا لم يكن كذلك فلن يكون بوسعه الدعاية أصلاً. كل من يتابع الانتخابات الأمريكية – وقد تابعتُها أنا – يؤيّد ذلك. ثمة أفراد لم يدعمهم الصهاينة ولم يحظوا بدعم شبكات الرأسمالية الدولية المصّاصة للدماء، فلم يستطيعوا مهما فعلوا الدخول إلى ساحة الانتخابات، إذ لم تكن لديهم وسائل إعلام ولا تلفزة، وكان عليهم أن ينفقوا أموالاً طائلة لأجل كل ثانية. وفي بلادنا يجلس المرشحون وبشكل متكافئ ومتساوٍ ومن دون إنفاق حتى ريال واحد، ويتحدثون لساعات طويلة للناس عبر برامج متنوعة.. أين يوجد مثل هذا في العالم؟

الشيء الوحيد الذي يحكم من أجل الخوض في مضمار الانتخابات هو القانون. طبقاً للقانون يستطيع البعض أن يشاركوا ولا يستطيع البعض ذلك. القانون هو الذي يرسم الشروط والأهليات، ومن هم الذين يشخصون الأهليات. هذا كله يتمّ طبقاً للقانون. والعدو الخارجي يغضّ الطرف عن كل هذه الحقائق ويتكلم، وللأسف فإن الحناجر عديمة التقوى والألسنة عديمة التقوى تكرّر ما يقوله. لكن الشعب الإيراني بتوفيق من الله وبمشاركته وعزيمته الراسخة وصموده سيردّ على كل هذه الحيل والأحابيل، وسيكون ردّ الشعب الإيراني قويّاً وحاسماً.

وأذكر نقطة للمرشحين المحترمين.. يطلق المرشحون المحترمون في برامجهم العامة هذه نقودهم ومؤاخذاتهم، وهذا من حقهم، فبوسعهم انتقاد أي شيء يريدون انتقاده، ولكن ليتنبّهوا إلى أن النقد معناه العزيمة والنيّة للسير نحو مستقبل زاخر بالمساعي والجهود والأمجاد، وليس بمعنى النظرة السلبية والسوداوية وعدم الإنصاف.. ليتنبّهوا إلى هذه النقطة. إنني لا أقصد أي شخص. من هذه الساعة ستقول وسائل الإعلام الأجنبية بغيض وبطريقة مغرضة: إن فلاناً يقصد زيداً أو عمراً

أو بكراً أو خالداً. هذا بخلاف الواقع.. إنني لا أقصد أي شخص بعينه، إنما أذكر الحقائق. إنني أنصح الإخوة الذين يريدون تعزيز ثقة الجماهير بهم بأن يتحدثون بإنصاف. فلينتقدوا، ولكن لا يكن النقد بمعنى النظرة السوداوية، ولا بمعنى إنكار الأعمال البارزة والممتازة التي أنجزت، سواء من قبل هذه الحكومة أو من قبل الحكومات السابقة، حيث تولّى الأمور أشخاص مثلهم وبذلوا الجهود ليل نهار من أجل إنجاز تلك الأعمال. النقد لا يعني إنكار الأوجه الإيجابية. النقد معناه أن يذكر المرء الأمور الإيجابية ويذكر إلى جانبها النواقص ونقاط الضعف. إذا تولى الأمور في بلادنا اليوم شخص فلن يكون بحاجة للبدء من الصفر، فقد أنجزت آلاف الأعمال المميّزة. خلال السنوات الطويلة وفي فترات مسؤولية الحكومات المتنوّعة تم إنجاز آلاف البنى التحتية في هذا البلد، وتقدمت العلوم وتطورت، وتقدمت الصناعة، وتطورت الأعمال الأساسية وأرسيت البنى التحتية، وتمت البرمجة لأمور على جانب كبير من الأهمية ونُفذّت. يجب أن لا يخسروا هذه الأمور ولتكن أعمالهم من هذه المراحل فما بعد. نعم، ثمة مشكلات اقتصادية وهناك تضخم.. والشخص الذي سيتولى الأمور بعد ذلك سيمكنه إن شاء الله أن يكون حلّالاً لهذه المشكلات، وسيفتح هذه العقد، فهذا أمل الشعب الإيراني. ولكن لا يكن معنى ذلك أننا إذا كانت لدينا سبل حل لهذه المشكلات ننكر كل ما تمّ إنجازه لحد الآن. ثم لا يعطوا وعوداً غير ممكنة. أقول للمرشحين على تنوّعهم تحدثوا بطريقة لو عرضوا عليكم في شهر خرداد من السنة المقبلة شريط حديثكم اليوم لم تخجلوا من كلامكم. أعطوا الوعود بحيث لو ذكّروكم لاحقاً بها لما اضطررتم لإلقاء اللوم والتقصير على هذا وذاك، ولما قلتم إنهم لم يسمحوا لنا بالعمل. أعطوا وعوداً بالأشياء التي تستطيعون إنجازها.

لرئيس الجمهورية في بلادنا وطبقاً لدستور البلاد إمكانيات وصلاحيات كبيرة جداً. صلاحيات رئيس الجمهورية في الدستور الإيراني واسعة، ففي يديه ميزانية البلاد، وبيديه كل الأركان التنفيذية في البلاد، وبيديه ترتيب تنفيذ القوانين، ولديه إمكانية الانتفاع من كل الأفراد الخبراء والمتخصصين في كل أنحاء البلاد. يد رئيس الجمهورية مبسوطة في كل القضايا على تنوّعها. الحدّ الوحيد لرئيس الجمهورية في بلادنا هو القانون. القانون فقط هو الذي يحدّد رئيس الجمهورية، وهذا ليس بقيد مُعيق، فالقانون إنما هو للهداية والتوجيه، وليس للتقييد والعرقلة. القانون يدلّ على الطريق وكيف يجب أن نتحرّك.

الذين يتحدثون اليوم مع الناس، ليطرحوا عليهم ما يستطيعون إنجازه ويكون الناس بحاجة إليه. ليعطوا عهداً بالعمل بتدبّر وعقلانية وحكمة. إذا كانت لديهم برامج حول أي موضوع فليطرحوا تلك البرامج على الشعب، وليعطوا عهداً بالسير بشكل دؤوب وبخطوات راسخة في

هذا الميدان. وليعطوا عهداً بالاستفادة من كل إمكانيات الدستور الإيراني لتنفيذ واجباتهم الكبرى. وليعطوا عهداً بأنهم سيعكفون على إدارة أوضاع البلاد. وليعطوا عهداً بمعالجة قضايا الاقتصاد بشكل جيد، فالاقتصاد هو اليوم ساحة التحديات التي يفرضها الأجانب على شعب إيران. وليعطوا عهداً بعدم إثارة القضايا الهامشية واللغط. وليعطوا عهداً بأن لا يتركوا المحيطين بهم يفعلون كل ما يحلو لهم. وليعطوا عهداً بأن لا يهتموا لمصالح الأجانب، وبذرائع شتى، أكثر من مصالح الشعب الإيراني. البعض وانطلاقاً من تحليل خاطئ يقول: لنعط الأعداء بعض الامتيازات كي نقلل من غضبهم تجاهنا، يفضلون عملياً مصالح الأعداء على مصالح الشعب.. هذا خطأ. غضب الأعداء سببه أنكم موجودون، وسببه أن الجمهورية الإسلامية موجودة، وسببه أن الإمام الخميني حيّ في أذهان الشعب وفي برامج هذا البلد، وسببه أن الشعب يعيش الحماس والهياج في كل أرجاء البلاد في يوم الرابع عشر من خرداد ذكرى رحيل الإمام الخميني. غضبهم يعود إلى هذه الأشياء. يجب معالجة غضب العدو بالاقتدار الوطني.

إذا كان الشعب مقتدراً وقلل من نواقصه، وعالج مشكلاته، واستطاع معالجة قضاياه الاقتصادية التي تعدّ اليوم قضاياه الرئيسية، فسيبقى العدو مخلوع السلاح أمام شعب إيران. على كل الحال، المهم هو العزيمة والإرادة، والإيمان بالله، والإيمان بالشعب، والإيمان بالذات، سواء بالنسبة للمرشحين للانتخابات أو لكل واحد من أبناء الشعب. إخوتي وأعزائي.. بعد عشرة أيام ستكون أمامنا ساحة امتحان كبير، ونتمنى أن تتحقق لهذا الشعب من قبل الله سبحانه وتعالى في هذا الامتحان الكبير ملحمة مباركة ونتائج مشرقة متألقة.. ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

1 – سورة آل عمران، الآية: 173 .

2 – سورة محمد، الآية: 7 .

3 – سورة الجن، الآية: 16 .

4 – سورة فصلت، الآية: 30 .

5 – سورة الرعد، الآية: 11 .